

سورة البقرة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17) صُمُّ بُكْمٌ عُمِّي فُهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18) أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَاللَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22)

شرح الكلمات:

مَثَلُهُمْ { : صفتهم وحالهم.

اسْتَوْفَدَ { : أوقد ناراً.

صُمُّ بُكْمٌ عُمِّي { : لا يسمعون ولا ينطقون ولا يبصرون. والمراد نفي

السمع المعنوي. وهو السمع النافع؛ لا الحسي. وهو الإدراك

قوله تعالى: { بُكْمٌ } جمع أبكم؛ وهو الذي لا ينطق؛ والمراد أنهم لا

ينطقون بالحق؛ وإنما ينطقون بالباطل

{ عُمِّي } جمع أعمى؛ والمراد أنهم لا ينتفعون بما يشاهدونه من الآية التي

تظهر على أيدي الرسل. عليهم الصلاة والسلام

الصيب : المطر النازل من السماء

الظلمات : ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة المطر.

الرعد : الصوت القاصف يُسمع حال تراكم السحاب ونزول المطر.

البرق : ما يلعب من نور حال تراكم السحاب ونزول المطر.

{ الصَّوَاعِقِ } : جمع صاعقة: نار هائلة تنزل أثناء قصف الرعد ولعاب

البرق يصيب الله تعالى بما يشاء.

{ حَذَرَ الْمَوْتِ } : توقيا للموت.

{ مُحِيطٌ } : الحيط المكتشف للشيء من جميع جهاته.

{ يَكَادُ } : يقرب.

{ يَخْطَفُ } : يأخذه بسرعة.

{ وَأَبْصَارِهِمْ } : جمع بصر وهو العين المبصرة

{ ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم } دون أن تحدث الصواعق،

ودون أن يحدث البرق؛ لأن الله على كل شيء قدير؛ فهو قادر على

أن يذهب السمع والبصر بدون أسباب: فيذهب السمع بدون

صواعق، والبصر بدون برق؛ { إن الله على كل شيء قدير } ..

{ النَّاسِ } : لفظ جمع لا مفرد له من لفظه، واحده إنسان.

{ اعْبُدُوا } : أطيعوا بالإيمان والامتثال للأمر والنهي مع غاية الحب لله

والتعظيم. { رَبِّكُمْ } : خالقكم ومالك أمركم وإحكام الحق. { خَلَقَكُمْ } :

أوجدكم من العدم بتقدير عظيم { تَتَّقُونَ } : تتخذون وقاية تحفظكم من

عذاب الله، وذلك بالإيمان والعمل الصالح بعد ترك الشرك

والمعاصي. { فِرَاشًا } : وطاء للجلوس عليها والنوم فوقها. { بِنَاءً } : مبنية؛

كقبة فوقكم. { الثَّمَرَاتِ } : جمع ثمرة وهو ما تخرجه الأرض من حبوب

وحضر وتخرجه الأشجار من فواكه. { رِزْقًا لَكُمْ } : قوتاً لكم تقتاتون به

فتحفظ حياتكم إلى أجلها. { أَنْدَادًا } : جمع نَدَّ: النظير والمثيل تعبدونه

دون الله أو مع الله تضادون به الرب تبارك وتعالى.

معنى الآيات: مثل هؤلاء المنافقين فيما يظهرون من الإيمان مع ما هم

مبطنون من الكفر كمثل من أوقد ناراً للاستضاءة بما فلما أضاءت لهم

ما حولهم وانتفعوا بما أدنى انتفاع ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات

لا يبصرون. لأنهم بإيمانهم الظاهر صانوا دماءهم وأمواهم ونساءهم

وذرايبهم من القتل والسي، وما يضمرون من الكفر إذا ماتوا عليه

يدخلون النار فيخسرون كل شيء حتى أنفسهم. هذا المثل تضمنته

الآية الأولى (17)، وأما الآية الثانية (18) فهي إخبار عن أولئك

المنافقين بأنهم قد فقدوا كل استعداد للاهتداء فلا آذانهم تسمع

صوت الحق ولا ألسنتهم تنطق به، ولا أعينهم تبصر آثاره، وذلك

لتوغلهم في الفساد. فلذا هم لا يرجعون عن الكفر إلى الإيمان بحال من

الأحوال. وأما الآية الثالثة والرابعة (19) (20) فهما تتضمنان مثلاً آخر

لهؤلاء المنافقين. وصورة المثل العجيبة والمنطقية على حالهم هي مطر

غزير في ظلمات مصحوب برعد قاصف وبرق خاطف، وهم في وسطه

مذعورون خائفون

يسدون آذانهم بأنامل أصابعهم حتى لا يسمعا صوت الصواعق حذراً
أن تتخلع قلوبهم فيموتوا، ولم يحدروا مفراً ولا مهرباً لأن الله تعالى محيط
بهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن البرق لشدته وسرعته يكاد
يخطف أبصارهم فيعمون، فإذا أضاء لهم البرق الطريق مشوا في ضوئه،
وإذا انقطع ضوء البرق وقفوا حيارى خائفين، { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ
بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } . هذه حال أولئك
المنافقين، والقرآن ينزل بذكر الكفر، وهو: ظلمات، ويذكر الوعيد،
وهو: كالصواعق والرعد، وباللحجج والبيانات، وهي: كالبرق في قوة
الإضاءة، وهم خائفون أن ينزل القرآن بكشفهم وإزاحة الستار عنهم
فيؤخذوا، فإذا نزل بآية لا تشير إليهم ولا تتعرض بهم مشوا في إيمانهم
الظاهر. وإذا نزل بآية فيها التنديد بباطلهم وما هم عليه وقفوا حائرين
لا يتقدمون ولا يتأخرون، ولو شاء الله أخذ أعمارهم وأبصارهم لفعل؛
لأنهم لذلك أهل وهو على كل شيء قدير وأنه تعالى لما ذكر المؤمنين
المفلحين والكافرين الخاسرين ذكر المنافقين وهم بين المؤمنين الصادقين
والكافرين الخاسرين، ثم على طريقة الالتفات نادى الجميع بعنوان الناس
ليكون نداء عاماً للبشرية جمعاء في كل مكان وزمان وأمرهم بعبادته
ليقوا أنفسهم من الخسران. معرفاً لهم نفسه ليعرفوه بصفات الجلال
والكمال فيكون ذلك أدعى لاستجابتهم له ليعبدونه عبادة تنجيهم من
عذابه وتكسيهم رضاه وجنته، وختم نداءه لهم بتبنيهم عن اتخاذ شركاء
له يعبدونهم معه مع علمهم أنهم لا يستحقون العبادة لعجزهم عن
نفعهم أو ضرهم.

من هداية الآيات ما يلي:

1- استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان.

2- خيبة سعي أهل الباطل وسوء عاقبة أمرهم.

3- القرآن تحيا به القلوب كما تحيا الأرض بماء المطر.

4- شر الكفار المنافقون.

5- وجوب عبادة الله تعالى، إذ هي علة الحياة كلها.

6- وجوب معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته.

7- تحريم الشرك صغيره وكبيره ظاهره وخفيه.

8- تقرير نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بإثبات نزول القرآن

عليه.

9- تأكد عجز البشر عن الإتيان بسورة مثل سور القرآن الكريم لمرور ألف سنة وأربعمئة وست سنين والتحدي قائم ولم يأتوا بسورة مثل سور القرآن، لقوله تعالى: {وَلَنْ تَفْعَلُوا} .

10- النار تنقى بالإيمان والعمل الصالح، وفي الحديث الصحيح: "اتقوا النار ولو بشق تمرة"

11- من فوائد الآيتين: تهديد الكفار بأن الله محيط بهم؛ لقوله تعالى: {والله محيط بالكافرين} ..

12- ومنها: أن البرق الشديد يخطف البصر؛ ولهذا يُهَيئ الإنسان أن ينظر إلى البرق حال كون السماء تبرق؛ لئلا يُخطف بصره..

13- ومنها: أن من طبيعة الإنسان اجتناب ما يهلكه؛ لقوله تعالى: (وإذا أظلم عليهم قاموا)

14- ومنها: إثبات مشيئة الله؛ لقوله تعالى: (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم)

15- ومنها: أنه ينبغي للإنسان أن يلجأ إلى الله عزَّ وجلَّ أن يمتعه بسمعه، وبصره؛ لقوله تعالى: {ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم}؛ وفي الدعاء المأثور: "متعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقوتنا ما أحييتنا"

16- ومنها: أن من أسماء الله أنه قدير على كل شيء..

17- ومنها: عموم قدرة الله تعالى على كل شيء؛ فهو جلَّ وعلا قادر على إيجاد المعدوم، وإعدام الموجود، وعلى تغيير الصالح إلى فاسد، والفساد إلى صالح، وغير ذلك..

18- العناية بالعبادة؛ يستفاد هذا من وجهين؛ الوجه الأول: تصدير الأمر بما بالنداء؛ و الوجه الثاني: تعميم النداء لجميع الناس مما يدل على أن العبادة أهم شيء؛ بل إنَّ الناس ما خلقوا إلا للعبادة، كما قال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} (الذاريات: 56)

19- ومنها: أن الإقرار بتوحيد الربوبية مستلزم للإقرار بتوحيد الألوهية؛ لقوله تعالى: {عبدوا ربكم} ..

20- ومنها: أن التقوى مرتبة عالية لا يناها كل أحد إلا من أخلص العبادة لله عزَّ وجلَّ؛ لقوله تعالى: (لعلكم تتقون)

21- وربما يستفاد التحذير من البدع؛ وذلك؛ لأن عبادة الله لا تتحقق إلا بسلوك الطريق الذي شرعه للعباد؛ لأنه لا يمكن أن يعرف كيف نعبد

الله إلا عن طريق الوحي والشرع: كيف نتوضأ، كيف نصلي... يعني ما الذي أدركنا أن الإنسان إذا قام للصلاة يقرأ، ثم يركع، ثم يسجد... إلخ، إلا بعد الوحي..

22- ومنها: الحث على طلب العلم؛ إذ لا تمكن العبادة إلا بالعلم

23- بيان رحمة الله تعالى، وحكمته في جعل الأرض فراشاً؛ إذ لو جعلها خشنة صلبة لا يمكن أن يستقر الإنسان عليها ما هدأ لأحد بال؛ لكن من رحمته، ولطفه، وإحسانه جعلها فراشاً..

24- ومنها: جعل السماء بناءً؛ وفائدتنا من جعل السماء بناءً أن نعلم بذلك قدرة الله عزَّ وجلَّ لأن هذه السماء المحيطة بالأرض من كل الجوانب نعلم أنها كبيرة جداً، وواسعة

25- ومنها: بيان قدرة الله عزَّ وجلَّ بإنزال المطر من السماء؛

26- ومنها: حكمة الله سبحانه وتعالى، ورحمته بإنزال المطر من السماء؛ وجه ذلك: لو كان الماء الذي تحبى به الأرض يجري على الأرض لأضر الناس؛ ولو كان يجري على الأرض حُرِّم منه أراضٍ كثيرة . الأراضي المرتفعة لا يأتيها شيء؛ ولكن من نعمة الله أن ينزل من السماء؛ ثم هناك شيء آخر أيضاً: أنه ينزل رذاذاً . يعني قطرة قطرة؛ ولو نزل كأفواه القرب لأضر بالناس

27- ومن فوائد الآية: بيان قدرة الله، وفضله بإخراج هذه الثمرات من الماء؛ أما القدرة فظاهر: تجرد الأرض شهباء جذباء ليس فيها ورقة خضراء فينزل المطر، وفي مدة وجيزة يخرج هذا النبات من كل زوج بهيج بإذن الله عزَّ وجلَّ

28- ومنها: أن الأسباب لا تكون مؤثرة إلا بإرادة الله عزَّ وجلَّ.

29- ومنها: أن الله عزَّ وجلَّ منعم على الإنسان كافراً كان، أو مؤمناً؛ لقوله تعالى: {لكم}، وهو يخاطب في الأول الناس عموماً؛ لكن فضل الله على المؤمن دائم متصل بفضل الآخرة؛ وفضل الله على الكافر منقطع بانقطاعه من الدنيا..

30- ومنها: تحريم اتخاذ الأنداد لله؛ لقوله تعالى: {فلا تجعلوا لله أنداداً}؛ إن اتخذ الأنداد في العبادة، أو جعلها شريكة لله في الخلق، والملك، والتدبير فهو شرك أكبر؛ وإن كان دون ذلك فهو شرك أصغر، كقول الرجل لصاحبه: "ما شاء الله وشئت" .. والله اعلم

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تفسير سورة البقرة

من الآية رقم (17) إلى الآية رقم (22)

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (5)



فوائدها من تفسير السورة

البقرة

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

اعدتها أبو احمد العراقي